(الفصل الثالث)

"وكانت البداية"

توقف سائق الحافلة وأسرع جميع الركاب ومن بينهم نور الدين ليشاهدون ماذا حدث، فإذا بهم يشاهدون سيارة جيب حمراء اللون، وقد اصطدمت بسيارة نقل كبيرة مما أدى إلى إخراج السيارة الجيب من على الطريق، وقد غرست عجلاتها في الرمال.

أسرع الجميع يحاولون إنقاذ من في السيارة، كان أولهم نور الدين، وعندما اقترب من السيارة ليفتح بابها ويخرج من بها وجد فتاة مغشيي عليها، ورأسها مصابة ببعض الجروح السطحية وهي ملقاة على عجلة القيادة، فاقترب منها محاولًا إفاقتها. عندما فتحت عيناها وجدت نفسها محاطة بعدد من الرجال فانزعجت كثيرًا، وبصوت مرتجف متقطع قالت:

- **ماذا حدث؟ ومن أنتم؟**

بينما كان نور الدين يمسح رأسها المصاب ببعض المناديل الورقية التي كانت بحوزته في تلك اللحظة نظرت إليه الفتاة بغضب شديد، ثم إزاحت يده عن رأسها في عصبية قائلةً:

– كفى، ماذا أنت بفاعل؟ أبعد يديك هذه عني.

غضب من ردة فعلها هذه؛ فبدلًا من أن تشكره تهينه هكذا بتعجرف؟ فرفع يده عن رأسها ثم نظر إليها بغضب قائلًا:

- حسنًا، لا أفعل شيئًا، كنت أحاول إنقاذك، لكنك لا تستحقين، حقًّا متغطرسة.

ثم تركها وذهب إلى الحافلة، قعد مكانه وهو يتمتم في غضب قائلًا:

- **مغرورة، متغطرسة.**

وهنا اجتمع الركاب حولها فقال أحدهم:

- **مهلًا يا سيدة، لمَ هذه الحدة؟ فنحن كنا نحاول إسعافكِ ومساعدتكِ ليس أكثر!**

نظر أحدهم إلى السيارة، وقد تعطلت تمامًا؛ فلقد غرست عجلاتها في الرمال وتعطل محركها تمامًا ثم قال:

- **لقد تعطلت سيارتكِ تمامًا، لم يعد بإمكانكِ استخدامها في الوقت الراهن.**

صدمت الفتاة، حاولت أن تدير سيارتها، ولكنها لم تستجب؛ فلقد توقفت بالفعل عن الحركة، غضبت ثم قالت:

- **أوف! ماذا سأفعل أنا الآن؟**

كل هذا يحدث ونور الدين يشاهد من نافذة الحافلة التي يجلس بجوارها وهو يقول:

- **جيد، تستحقين ذلك، متعجرفة.**

في حين تقدم منها سائق حافلة الرحلات وسألها مستفسرًا:

- إلى أين كنت تذهبين وحدكِ هكذا؟

فابتسمت في سخرية قائلة:

- **إلى أين تعتقد أنت بأني كنت ذاهبة يا ترى؟**
- **هل هذا الطريق يؤدي إلى مكان آخر غير الواحات برأيك؟**

ثم تمتمت:

- **هذا ما كان ينقصني الآن، أوف!**

انزعج السائق من جوابها الساخر هذا، لكنه لم يعقب ثم قال:

- **حسنًا، ونحن ذاهبون إلى الواحات، والآن سيارتك قد تعطلت، فإذا كنتِ تودين أن تستقلي الحافلة معنا فأهلا بك، وإن كنتِ لا تريدين كما تشائين، لكن اعلمي بأن هذا الطريق خطرًا للغاية، لن تستطيعي النجاة هنا.**
- شعرت الفتاة بالخوف؛ فلم تطل الأمر ثم قالت:
- **حسنًا، حسنًا، سوف أذهب معكم.**

وكان السائق مسنًا؛ فشعرت بأنها قد تعاملت معه بعدم تقدير؛ فاعتذرت منه على أسلوبها الساخر ثم سألته قائلة:

- **ما اسمك يا عم؟**

فأجابها السائق مبتسمًا:

- **اسمي فتحي وينادوني الناس بعم فتحي.**

فابتسمت قائلةً:

- **تشرفنا يا عم فتحي، وأنا ناردين.**
- **مرحبًا يا ناردين، ولكن هيا أسرعي، أغلقي سيارتك جيدًا، وهيا لنذهب قبل أن يحل علينا المساء؛ فما زال الطريق طويلًا.**
- أغلقت ناردين سيارتها وصعدت إلى الحافلة، كانت المقاعد كلها ممتلئة، لم يكن هناك مقعد شاغر سوى المقعد المجاور لنور الدين؛ ذلك لأنه كان قد حجز المقعدين؛ ليقعد في راحة حتى لا يزعجه أحد.

عندما صعدت ناردين فوجئت بأن المقعد الوحيد الشاغر كان الذي بجوار ذلك الشخص الذي أهانته هي منذ لحظات.

تقدم عم فتحى من نور الدين؛ حتى يستأذنه فى أن تقعد ناردين بجواره، فنظر إليها في ضجر ثم عقب متأففًا:

- **حسنًا يا عم فتحي لأجل خاطرك فقط.**

سمعت ناردين حديثهما هذا، وعندما ناداها عم فتحي لتقعد أشاحت بوجهها، ثم ذهبت إلى مقدمة الحافلة، قعدت على السلم الخاص بالباب

الأمامي واضعة حقائبها بجوارها دون أن تعلق، أو تلتفت إلى من فى الحافلة.

نظر إليها نور الدين في تعجب ثم علق غاضبًا:

- **كما تشائين، حسنًا فعلتِ.**

وهنا عرض عليها جميع الركاب بأن تقعد مكان أحدهم، لكنها رفضت وشكرتهم وأصرت على موقفها،ثم نظرت إلى نور الدين نظرة احتقار وهي تتمتم:

- **أحمق، عديم الذوق.**

ثم وضعت سماعة هاتفها في أذنيها، وكانت قد وضعت بعض المناديل الورقية على جبهتها المصابة، فقعدت تستمع إلى فيروز مطربتها المفضلة في صمت.

بينما نور الدين يتابعها بنظراته عن بعد، فأشفق عليها وفكر في أن يتقدم منها ويدعوها لتقعد بجواره بدلًا من قعودها هكذا على سلم السيارة، وخاصة أنها مصابة وفي حاجة إلى الراحة، ثم تراجع محدثًا نفسه:

- **كلا، هي حرة، فلتفعل ما تشاء.**

ثم عاود نظراته إليها مرة أخرى؛ فوجدها تتكئ برأسها على كفيها وقد بدا عليها أنها تتألم من أثر الإصابة. بعد تردد دام طويلًا قرر أن يدعوها للقعود؛ فنهض من مكانه واتجه نحوها، وبصوت جاد وجاف قال:

– تعالي، اقعدي؛ يبدو أنك متعبة، هيا تعالي ولا تعاندي.

فرفعت إليه نظرها وقد ازدادت غضبًا ثم قالت:

- **شكرًا لك يا عم فتحي هذا هو رقم هاتفي، اتصل بى أن احتجت إلى شيء ولا تتردد، اتفقنا؟**
- **حسنًا يا بنيتي، ولكن اهتمي بنفسك جيدًا.**

في هذه الأثناء جمع نور الدين حقائبه ليغادر السيارة، وأثناء مغادرته ازاح ناردين عن طريقه من على سلم السيارة بحقيبته، بينما كانت تحادث عم فتحي ثم هبط؛ فنظرت إليه في تعجب، ثم صرخت عليه بغضب قائلةً:

- أنظر أمامك، حقًّا شخص أحمق، أوف!

لم يلتفت إليها وكأنه لم يسمع شيئًا مما قالته، تابع طريقه متجهًا إلى المسئولين عن المشروع ليتسلم أرضه غير مبالٍ بها. جمعت هي الأخرى حقائبها، وتابعت طريقها متجهة إلى تسلم أرضها،، ولكن ما الذي سيحدث؟